

وانتقال الفكر من موقع إلى موقع، أو من بنية إلى بنية .

٥ - نكاد نشته في أن هذا الفكر الذي تحدثنا عنه يفتقر إلى العمل؛ كأن دوره الانتقال من بنية ذهنية إلى أخرى عبر بنية ذهنية أو واقعية فقط: الجمل بنى صوتية واقعية تحمله إلى معانيها، والمعاني بنى ذهنية تحمله إلى معانٍ أخرى. لكنه لا ينتقل من البنية الواقعية (الجمل الصوتية) ما لم يدرك بأحد سَعَاتِهِ (السمع) تلك البنية. وحين ينتقل بالبنية الواقعية إلى البنية الذهنية يكون قد بنى علاقة بين البنية الواقعية، التي صارت ذهنية بأدراكها أي باستيعاب الفكر لها، وبين البنية الذهنية التي سبق له أن اخترتها بومض الإدراك القبلي. وهذا الوصل الدائم بين البنى الذهنية - الذهنية والبنى الواقعية والذهنية يكون قد طوّرت تلك البنى الذهنية والواقعية، أي يكون قد طور مادة تطوره. الفكر الذي قرن الحدود إلى الورود جعل بنية الحدود الذهنية زاهية بالوان الورود وفواحة بأريجها، ويكون قد جعل النفوس تواقّة مشتاقّة إلى احتضان تلك الحدود. عندما ينقل الفكر الاسم من مسمّى يكون قد مزج بين فحوى الاسم والبنية الذهنية لمستعيره، يكون قد طور الفكرة عنه أو البنية الذهنية له .

فالاستعارة والتعبير المجازي عموماً هما قسريان كالتعبير الحقيقي الذي يقول الصوت والمصوّت به بصوت مصوغ من عناصر بنية ذلك الصوت. فكما أن التعبير الحقيقي يقدم عينة من المعبر عنه فإن التعبير المجازي يفعل نفس الفعل حين يلمح ان هذه العينة وما تشير إليه هما في بنية أخرى غير بنية المسمى الأصلي. ما الذي يجعل الفكر واصلاً بنية بنية محددة لا بغيرها مع العلم أن كل بنية في هذا الكون لا تكون إلا بعلاقتها بسائر البنى الكونية؟ ولهذا السؤال وجه آخر: ما الذي يحرك الفكر بهذا الاتجاه أو ذاك؟ كنت وعيد الحسين هامين للحروج